# السنة والبدعة

## أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

## بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واستمسك بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

خير ما أحييكم به- أبها الإخوة الأحباب- تحية الإسلام، وتحية الإسلام: السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حديثنا في هذه الليلة المباركة، التي نسأل تتتأن يظلنا فيها برحمته، ويحفنا فيها بملائكته، وينزل علينا سكينته، ويذكرنا في ملأ عنده، حديثنا حول: «السنة والبدعة».

ولهذا الحديث مناسبة أشار إليها الأخ الشيخ معجب[1]. حفظه الله ونفع به، أن مقالة نشرت في مجلة تصدر في بلادناكما قال، تحمل عنوانًا بهذا السخف، أقرأه لكم: «استنكار البدعة وكراهة الجديد، موقف إسلامي أم جاهلي؟!» يريد أن يقول: إن استنكار البدعة موقف جاهلي! ينبغي ألا تستنكر البدعة، وأن تدع الناس يبتدعون مما شاءت لهم أهواؤهم، أو ما شئت لهم

(1) هو الشيخ معجب الدوسري مدير المركز الإسلامي للدعوة والإرشاد بدولة قطر، وقد تفضل بتقديم هذه المحاضرة.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

شياطينهم من الإنس، ومن الجن.

لهذا أحببنا أن نرد الأمور إلى أصولها، وأن تأتي البيوت من أبوابها، وأن نحدد المفاهيم، فإن تحديد المفاهيم في هذه القضايا أمر بالغ الخطورة، وترك هذه المفاهيم دون تحديد وتوضيح، تركها مادة هلامية رجراجة، يجعل لمن شاء أن يفسرها بما شاء، وهذا هو الخطر كل الخطر.

لذلك كان لابد أن نعرف معنى السنة، ومعنى البدعة، وما موقف الإسلام من البدعة؟ ولماذا استنكر الإسلام البدعة؟ وهل معنى استنكار البدعة هو استنكار الجديد أي جديد؟ حتى يتضح الموقف، وتتبين الحجة، وتزول الشبهة، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

معنى السنة لغة واصطلاحًا[2]:

السنة في اللغة: الطريقة المسلوكة، محمودة كانت أو مذمومة، فهناك السنة الحسنة، وهناك السنة السيئة، كما صح بذلك الحديث الذي رواه مسلم وغيره: **«من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم الشيء»**[3].

---

(2) انظر في هذا «المدخل لدراسة السنة النبوي» للأستاذ القرضاوي (ص7-13). ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

(3) جزء من حديث رواه مسلم، والنسائي، والترمذي باختصار انظر في «الملتقى من آداب الترغيب والترهيب» للقرضاوي: (115/1)، (حديث 41) ومعنى قوله: «من سن في الإسلام سنة حسنة» أي في عهده وزمنه وحال وجوده، لا في أحكامه وفروعه وأصوله.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

فالسنة في هذا الحديث بالمعنى اللغوي أي من اتخذ طريقة معينةفي الخير أو في الشر من وضع تقليدًا حسنًا. ووضع تقليدًا سيئًا، ففي الحسن له أجره وأجر من اتبعه، وفي السيئ عليه وزره ووزر من اتبعه إلى يوم القيامة.

ولكن في الاصطلاح الشرعي أصبح لها معنى أو أكثر من معنى.

كثير من الألفاظ لها معاني لغوية، تحددت لها في الشرع معاني اصطلاحية معينة كما نقول: الطهارة في اللغة: النظافة، وفي الشرع: رفع حدث، أو إزالة نجس أو نحو ذلك. أو الصلاة في اللغة: الدعاء،وفي الشرع: أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم.

كذلك السنة لها معناها اللغوي، ومعناها الشرعي الاصطلاحي.

الحقيقة أن السنة في الشرع لها أكثر من معنى:

فهي عند الفقهاء: يراد بها أحد الأحكام الشرعية، أي ما يقابل الفرض الواجب-عند من يقول بالواجب- فهي بمعنى المندوب أو المستحب، وهو ما طلب الشارع فعله طلبًا غير جازم، بحيث يثاب من فعله، ولا يعاقب من تركه، إلا إذا كان على وجه الإعراض عنه أو نحو ذلك، فيقال–مثلًا- صلاة ركعتين قبل الصبح سنة، ولكن صلاة الصبح فرض.

وعند الأصوليين: السنة ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلممن قول، أو فعل، أو تقرير، وهي هنا مصدر من مصادر التشريع، ولذلك فهي تقابل الكتاب، يقال: هذا الأمر ثابت بالكتاب والسنة.

والمحدثون يضيفون إليها شيئًا آخر، فيقولون: السنة ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلممن قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف- خَلْقي أو خُلُقي- أو سيرة.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

هناك أيضًا معنى آخر يهتم به أهل الشرع بالنسبة للسنة، هو ما يقابل «البدعة»، أي ما سنه النبي ﷺ وشرعه لأمته، في مقابل ما ابتدعه المبتدعون من بعده، وهذا هو الذي جاء فيه حديث العرباض بن سارية، أحد أحاديث «الأربعين النووية» المعروفة:« **... .وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»**[4].

ولهذا اشتهر عند الصحابة المقابلة بين السنة والبدعة، قالوا:ما أحدث قوم بدعة إلا أضاعوا مثلها من السنة، وقال ابن مسعود: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة.

هذا المعنى الأخير للسنة هو موضوع حديثنا الليلة، أما المعاني الأخرى فليست موضوع هذا الحديث، قد يكون لنا معها حديث أو أحاديث أخرى، قد نتكلم عن «السنة كمصدر من مصادر التشريع»، قد يكون لنا حديث حول «السنة كقول أو فعل أو تقرير أو صفة أو سيرة»، ولكن نحن نريد-في هذه المحاضرة- الكلام عن السنة المقابلة للبدعة، أي ما سنه النبي ﷺ لأمته ... . هديه عليه الصلاة والسلام، وهو خير الهدى، كما قال عمر بن الخطابرضي الله عنه :إنما هو الكلام والهدى، وخير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وأخذ هذا من خطبة النبي ﷺ التي كان يخطب بها: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل**

---

(4) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، وأحمد، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، و«المتلقي من كتاب الترغيب والترهيب»(110/1)، (حديث 24).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

**بدعة ضلالة»**[5].

فكان النبي ﷺ يحذر من هذا الابتداع، ويأمر المسلمين إن يتبعوا سنته، وأن يحرصوا عليها، ويقول: «**لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**»[6]

معنى البدعة عند الإمام الشاطبي:

ولكن ما معنى الابتداع؟ وما معنى البدعة التي اعتبرها النبي ﷺ ضلالة في الدين؟

البدعة كما عرفها الإمام المحقق الفقيه الأصولي أبو إسحاق الشاطبي[7]: «طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة

(5) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه «رياض الصالحين» للنووي، باب النهي عن البدع ومحدثات الأمور.

(6) رواه بن ماجه، والحاكم في «المستدرك» من طريق الإمام أحمد، ورواه ابن أبي عاصم بإسناد حسن في كتاب «السنة» حديث (48) بتخريج الألباني، وصححه بمتابعه،«المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب»(114/1)، (حديث 39).

(7) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، توفى سنة (790هـ-1388م).«الأعلام»للزركلي (75/10) من كتبه: «الموافقات في أصول الشريعة»» وهو فريد في بابه، وكتاب «الاعتصام في بيان السنة والبدعة». وهو خير ما كتب في تأصيل هذا الموضوع، وللأسف لم يعرف منه إلى الآن إلا نسخة واحدة، طبعها وصححها وعلق عليها إمام السلفية الحديثة: الشيخ المجدد السيد محمد رشيد رضا حجح، صاحب «مجلة المنار» و«تفسير المنار»». والكتاب فيه كثير من النواقص والكلمات غير الواضحة. ولم توجد منه نسخة أخرى يمكنه أن يقابل النسختين أو النسخ بعضها ببعض، كما يفعل المحققون للنصوص دائمًا، كما أن الشاطبي حجح لم يتم الكتاب تأليفًا ... . القرضاوي.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

في التعبد لله سبحانه»[8].

هذا هو أصدق وأوثق التعاريف لمسألة «البدعة»، وهو تعريف دقيق جامع مانع كما يقول المنطقيون.

البدعة مجالها الدين:

وقد تحدد من خلال هذا التعريف، أن البدعة مجالها، وليس مجالها الدنيا، فهي «طريقة في الدين مخترعة»، والدليل على هذا قول النبي ﷺ: «**من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد**»[9]، وفي بعض الروايات: «**من أحدث في أمرنا**- والمقصود أيضًا أمر ديننا-**ما ليس منه فهو رد**»[10]، أي مردود على صاحبه، كما ترد العملة الزائفة على صاحبها.

هذا الحديث– أيضًا - اعتبروه من أصول الإسلام، وهو من أحاديث «الأربعين النووية».

قالوا: إن هناك حديثين يكمل أحدهما الآخر، حديث لابد منه لأنه ميزان الباطن، وهو حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»[11]،وحديث لابد منه لأنه ميزان الظاهر، وهو ما جاء هذا الحديث: «**من حديث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**».

---

(8) «الاعتصام» للشاطبي، (جـ1/ص37)، ط. دار المعرفة- بيروت.

(9) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنه ب«شرح السنة» للبغوي، بتحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط (211/1)، (حديث 103).

(10) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن داود، وابن ماجه «المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب»(112/1)، (حديث 32).

(11) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «المنتقي من كتاب الترغيب والترهيب»(102/1- 103)، (حديث3).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

**فلابد لكي يقبل العمل أن يكون فيه أمران:**

1- أن يقصد به وجه الله تنت.

2- أن تكون صورته على ما يريد الشرع.

ولذلك لما سئل الإمام الفضيل بن عياض الفقيه الزاهد- كان الزهاد الأوائل فقهاء - عن قوله تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}[الملك: 2]: ما أحسن العمل؟ قال: أخلصه وأصوبه. قيل له: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب، أن يكون على السنة.

أن يكون لله هو ما يعبر عنه حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**».

أن يكون على السنة هو ما يعبر عنه حديث: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**» أو «**من عمل عملًا ليس على أمرنا فهو رد**».

فالابتداع إذن لا يكون إلا في الدين، ومن هنا يخطئ من يظن الابتداع في أمور العبادات ... الأشياء العادية لا يدخلها الابتداع، لا يمكن أن يقال: أن هذا الأمر من أمور الحياة: بدعة، لأن السلف من الصحابة والتابعين لم يفعلوه. قد يكون أمرًا جديدًا، ولكن لا يعتبر هذا بدعة شرعية، وإلا لاعتبرنا كثيرًاما نحن عليه الآن بدعة: هذا الميكروفون، وهذا السجاد، وهذه الطاولة، وهذه الكراسي التي تجلسون عليها، لم يفعلها المسلمون الأوائل، ولم يفعلها الصحابة، فهل يعتبر هذا بدعة؟!

ولذلك قد يخطئ بعض الناس في هذه القضية، حتى أنه- مع الأسف- إذا رأى المنير أكثر من ثلاث درجات يقول: هذه بدعة. لا ... لا دخل بالبدعية

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

في هذه القضية. للنبي عليه الصلاة والسلام كان يخطب في أول الأمر على جذع نخلة، فلما كثر الناس قيل له: ألا نجعل لك شيئًا تقف عليه حتى يراك الناس؟ فجئ بنجار، قيل إنه نجار رومي، وصنع له المنبر من ثلاث درجات، ولو احتاج الأمر إلى أن يكون أعلى من ثلاث درجات لفعل، فهذه الأمور لا دخل لها في البدعة.

ولذلك من المهم جدًا - أيها الأخوة- أن نعرف هنا ما هي السنة؟ وما هي البدعة؟

أيضًا يحصل الخطأ هنا بالنسبة لأفعال النبي ﷺ، فبعض الناس يظن أن كل ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام سنة، مع أن العلماء قالوا: السنة منه ما ظهر فيه وجه القربة ... ما فعله على وجه التقرب إلى الله تعالى[12].

ومن أمثلة ذلك: أنه ﷺ كان- في بعض الأحيان- يصلي ركعتي الفجر، ويضطجع على جنبه الأيمن[13]، ففهم بعض العلماء- ومنهم ابن حزم- أنه لابد بعد صلاة ركعتي الفجر من الاضطجاع على الجانب الأيمن، فقالت عائشة فيما روى عنها: «إن النبي ﷺ لم يضطجع لسنة، ولكنه كان يدأب ليلته

(12) راجع في هذا ما كتبه الدكتور القرضاوي عن فعله ﷺ في كتابه «المدخل لدراسة السنة النبوية»(ص24-32). وللأستاذ القرضاوي أيضًا محاضرة ألقاها بكلية الشريعة في جامعة قطر حول «السنة النبوية وتنوعها»، كما أن له بحثًا بعنوان: الجانب التشريعي في السنة النبوية نشره مركز السنة والسيرة في مجلته السنوية، العدد ... . وكذلك في كتاب «السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة».

(13) عن عائشةرضي الله عنه ا قالت: «كان النبي ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن» أخرجه البخاري في كتاب «التهجد» باب: الضجعة على الشق الأيمنبعد ركعتي الفجر.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

فيستريح»[14].

إذن المهم أن يعرف من العمل ما قصد فيه السنية وما لم يقصد.

وهنا يحصل خلط كثير جدًا، كما في مسائل الأكل مثلًا. بعض الناس يرى أن الأكل بالملعقة، أو بالشوكة، أو الجلوس على مائدة-طاولة وحولها كراسي- بدعة، وهذا غلو، فإن هذه من العادات التي تختلف باختلاف الأعوام والبيئات والأحوال.

النبي ﷺ كان يأكل على عادة قومه، وبخاصة ما وافق طبيعته ﷺ ... طبيعة التيسير والتواضع والزهد، لكن لا يعتبر من أكل وهو على مقعد، أو أكل بملعقة، أن هذا بدعة في الدين.

على خلاف بعض الأشياء الأخرى.

في مرة من المرات ناقشنيباحث كبير- وهو ممن يكتبون في المجلات وأحيانًا يكتب في الإسلاميات- في مسألة الأكل باليمين، قال: هذه ليست سنة، لأنها من الأشياء العادية، قلت: لا، هنا نقف، مسألة الأكل بالملعقة وبالشوكة، وعلى الأرض أو على الطاولة، هذه مسألة تتعلق بالفعل، وكل إنسان يفعلما يفعله قومه، ما لم يظهر فيه وجه القربة، أو وجه السنية المقصودة، أما مسألة الأكل باليمين، فهنا يبدو أن هناك قصدًا للنبي ﷺ، لأنه أمر بهذا أمرًا حينما قال للغلام: «**يا غلام سلم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[15]. وأكثر من ذلك أنه نهى عن ضد هذا حينما قال: «**لا يأكلن أحدكم بشماله، ولا يشربن**

---

(14) أخرجه عبد الرزاق وفي إسناده رأو لم يسم «فتح الباري» كتاب التهجد: باب من تحدث بعد الركعتين ولو يضطجع.

(15) متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة «شرح السنة» للبغوي، بتحقيق الشاويش والأرناؤوط (275/11)، (حديث 2823).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

**بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»**[16].ولذلك قال بعض العلماء: إن ذلك يدل على الحرمة، لأنه شبه فاعله بالشيطان، ولا يشبهه بالشيطان في أمر مكروه.

وحينما رأى بعض الناس يأكل بشماله وقال له: كل بيمينك، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت[17].فدعا عليه فلم يرفع يده اليمنى بعد ذلك، فدل على أن الأمر مشدد فيه.

ولذلك يجب أن نقف في هذه الأمور عند حدود ما ورد، ونعرف الذي قصدت سنيته، وقصد فيه القربة إلى الله تعالى، وما جاء على طريق العادة، أو على طريق الحبلة «أي الطبيعة».

أحيانًا كان النبي ﷺ يفعل أشياء كما يفعل قومه، يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، ويلبس كما يلبسون.

وأحيانًا عن طريق الجبلة؛ مثل كونه ﷺ يحب «الدباء»- أي القرع- هل مطلوب من كل واحد منا أن يحب القرع؟ هذه مسائل تتعلق بأمزجة الناس وبطباعهم وأذواقهم ونشأتهم، واحد يحب القرع، وآخر يحب السبانخ... إلخ.

كان صلى الله عليه وسلميحب لحم الذراع، هل مطلوب من كل واحد أن يحب لحم الذراع؟ قد يوجد من يحب لحم الر قبة أو الظهر، ومن يحب لحم

---

(16) رواه مسلم، والترمذي، ورواه مالك، وأبو داود بنحوه، من حديث ابن عمر «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (2/598-599)، (حديث 1238).

(17) روى مسلم في «صحيحه» عن إياس بن سلمة بن الأكوع، أن أباه حدثه: أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «**كل بيمينك**» قال: لا أستطيع، قال:«**لا استطعت**» ما منعه إلا الكبر، قال فما رفعها إلى فيه.«كتاب الأشربة»، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

الفخذ ... إلخ.

إذا اتفقت محبتك مع محبة النبي ﷺ، فهذا خير وبركة. ولو أن إنسانًا اتبع ما كان يفعله النبي ﷺ ولو لم يكن علوجه القربة، لكمال حبه للنبي ﷺ، وحرصه على اتباع كل شيء أثر عنه، فهذا أيضًا يحمد له، وإن لم يطلب منه.

لو أن إنسانًا قال: أنا أريد أن اتبع ما فعل الرسول الكريم وإن كانت القربة غير مقصودة منه، إلا أني أحب أن آكل على الأرض، وأن آكل بيدي، كما كان يفعل النبي ﷺ، نقول له: جزاك الله خيرًا، ولم ننكر عليه بحال سلوكه هذا، وربما أجر على نيته.

وقد كان ابن عمر من شدة تعلقه بآثار رسول الله ﷺ، وكمال حبه له، يتبعه فيما لا يعرف أنه أمر قصد به القربة، أو طلب فيه الاتباع[18]. وكذلك بعض الصحابة رضي الله عنه ت.

فمثلًا رآه بعض الصحابة يصلى محلولًا أزراره، فلما سأله بعض أصحابه عن ذلك قال: إنه رأى النبي ﷺ يفعل ذلك[19].لعل النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك في يوم حار أو صائف، فتأتي أنت في البرد فتفعل هذا! إنما هو رأي رآه ابن عمر.

كان مسافرًا مرة فحاد عن الطريق ... مال إلى جانب منه، فاستغرب من معه، فقال خادمه أنه فعل ذلك لأنه كان مع النبي ﷺ، فلما جاء إلى هذا المكان

---

(18) ولهذا عرف «بالصحابي المتأسى» برسول الله ﷺ لشدة تأسيه به في أقواله وأفعاله.

(19) روى ابن خزيمة في «صحيحه»، والبيهقي في «سننه» عن زيد بن أسلم قال: رأيت ابن عمر يصلى محلولًا أزراره، فسألته عن ذلك فقال: «رأيت رسول الله ﷺ يفعله».

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

حاد عن الطريق[20].

في رحلة من رحلات الحج– أيضًا- أناخ راحلته، فأناخ من معه رواحلهم، وقالوا: ماذا تريد؟ كل ما فعله أنه ذهب إلى مكان وقضى حاجته، فلما سئل قال: إن النبي صلى الله عليه وسلملما حج جاء إلى هذا المكان فقضى حاجته فيه[21].

هل هذا مطلوب من المسلم؟ ليس مطلوبًا، إنما هذا من كمال الحب للنبي ﷺ.

كان يحب أن يضع ناقته حيث وضعت ناقة النبي ﷺ أرجلها، يعني حيث وقفت.

هذا النوع لا نذمه إذا لم يطالب صاحبه الناس به، ولكنه ليس مطلوبًا، فيجب أن يعرف أن هذا ليس ملزمًا به الناس، ولا مفروضًا عليهم، ولا سنيته مقصودة.

---

(20) عن مجاهد قال: كنا مع ابن عمر رضي الله عنه في سفر، فمر بمكان، فحاد عنه، فسئل: لم فعلت ذلك؟ قال: «رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت». رواه أحمد والبزار بإسناد جيد، وقال الهيثمي: رجاله موثقون.«المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب»(112/1)، (الحديث 31).

(21) عن ابن سيرين قال: كنا مع ابن عمر حجح بعرفات، فلما كان حين راح رحت معه، حتى أتى الإمام، فصلى معه الأولى والعصر، ثم وقف وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه، حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي فقال غلامه الذي يمسك راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلىهذا المكان قضى حاجته، فهو يحب أن يقضي حاجته». رواه أحمد ورواته محتج بهم في «الصحيح».

وقد ذكر هذه الآثار الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» فصل: الترغيب في اتباع السنة. وانظر:«المدخل لدراسة السنة النبوية» للأستاذ القرضاوي (ص24-32).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

من فعل هذا فقد أحسن، ولكن الخطأ أنه يريد من الناس أن يفعلوا هذا، أو ينكر على من لم يفعله، أو يذمه، أو يعتقد أن هذا من صلب الدين، أو جزء منه، أو من تركه ترك السنة.

ولذلك من المهم- أيها الأخوة- أن نفرق في هذا المقام بين السنة الحقيقية والبدعة.

الاختراع ينبغي أن يكون في شئون الدنيا:

البدعة كما قلنا: «طريقة في الدين مخترعة»، إذا الإسلام يريد من أتباعه ومن أهله أن يقفوا في أمر الدين عندما ورد، وأن يوفروا طاقتهم الإبداعية للابتكار في شئون الدنيا، وهذا ما فعله السلف رضوان الله عليهم.

السلف وقفوا عند حدود الوارد في أمر الدين ... عند حدود المأثور ... عند السنن وبذلوا طاقتهم وجهودهم في الابتكار لتحسين أمور الحياة.

نجد في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشياء كثيرة اسمها «أوليات عمر»: هو أول من دون الدواوين، وأول من مصر الأمصار، وأول من عس على الرعية، وأول من كذا وكذا.

وهناك كنت اسمها «الأوائل»، أي أوائل الأشياء التي سنها السلف.

فالصحابة ابتكروا أشياء كثيرة لمصلحة المسلمين.

ومعنى «مخترعة» أي ليس لها أصل في الشرع، وأصل كلمة «بدعة» مأخوذة من «بدع» و «ابتدع» يعني اخترع شيئًا على غير مثال سابق. ولذلك قال القرآن في وصف الله جل الله جلاله: «بديع السموات والأرض»

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

أي أن الله عمع مخترعها من غير مثال سابق متقدم[22].

فالابتداع هو اختراع على غير ما كان عليه الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين المهديين الذين أمرنا أن نتبع سنتهم.

ما كان له أصل في الشرع لا يعد بدعة:

إنما لو كان له أصل في الشرع فلا يكون بدعة.

هناك أشياء اخترعها المسلمون لها أصل في الشرع، مثل كتابة القرآن وجمعه في مصحف واحد، كما فعل ذلك أبو بكر بإشارة رضي الله عنه ب.

وأبو بكر في أول الأمر توقف في هذا الأمر وقال: كيف أفعل أمرًا لم يفعله رسول الله ﷺ، ولكن لم يزل عمر يحاول مع أبي بكر ويقنعه حتى اقتنع[23]، لأن في ذلك خير ومصلحة وإن لم يفعله النبي ﷺ، إنما الدين جاء بحفظ القرآن، والقرآن أساس الدين وينبوعه وكليته الأبدية، فلابد أن نحافظ عليه من أي ضياع، أو من أي اشتباه.

وقد أذن النبي ﷺ في كتابة الوحي عند نزوله، وكان له كتاب وحي يكتبون ما ينزل عليه من القرآن، كل هذا لحفظ القرآن.

والنبي عليه الصلاة والسلام لم يجمع القرآن كله في مصحف واحد في حياته، لأن القرآن لم يكن قد اكتمل، كان لا يزال ينزل، فيغير الله ما يشاء، فلو جمع في مصحف واحد لتعسر تغييره كل وقت. وأحيانًا تنزل الآية ويقول: ضعوها في سورة كذا، والسورة لا يعرف اكتمالها حتى تم نزول

---

(22) «الاعتصام» للشاطبي، (جـ1/ص36)، ط. دار المعرفة- بيروت.

(23) وكذلك الشأن مع زيد بن ثابت الذي أمره أبو بكر بتتبع القرآن وجمعه، ولكن لم يزل أبو بكر يراجعه حتى شرح الله صدره للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

القرآن.

فسورة البقرة– مثلًا - نزلت في أوائل العهد المدني، ولكن لم يكتمل نزولها إلا بعد ثمان سنين، وفيها آيات يعتبرها العلماء من أواخر ما نزل من القرآن، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه ب أن آخر ما نزل من القرآن قول الله تعالى:

{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: 281].

فهناك مانع إذن منع النبي ﷺ من أن يجمع القرآن، فلما استقر القرآن بموته صلى الله عليه وسلمأمن الصحابة من زيادة القرآن ونقصه، فعملوا على كتابة القرآن وجمعه في مصحف واحد.

إذن هذا العمل له أصل في الشرع يدل عليه، فلا يعتبر بدعة.

ومن ذلك ما فعله عمر رضي الله عنه في جمع الناس في رمضان على إمام واحد يصلي بهم التراويح وهو أبي بن كعب، وكانوا قبل ذلك يصلون جماعات متناثرة. روى البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القارئ أنه قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه. ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم علىأبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعم البدعة هذه[24]، والتيينامون عنها أفضل من

(24) قال الشاطبي: إنه سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال، من حيث تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله عنه ، إلا أنها بدعة في المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي«(الاعتصام»(195/1).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله»[25].

وكلمة «البدعة» هنا في قول عمر «نعمت البدعة هذه» بالمعنى اللغوي وليس بالمعنى الشرعي، لأن البدعة من الناحية اللغوية: كل ما اخترع على غير مثال سبق في صورته. فعمر هنا يقصد أن الناس لم يجتمعوا بهذه الصورة قبل ذلك، وإن كان أصل الاجتماع قد حدث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه كان رغب في القيام، وصلى الناس وراءه أكثر من ليلة، ثم لما رأى الناس قد كثروا لم يخرج إليهم، فلما أصبح قال: «رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفترض عليكم»[26].

فهذه الخشية ... خشية أن ينزل الله إيجاب هذا الأمر وفرضيته، زالت بموت النبي ﷺ، فزال المانع إذن[27].

المهم أن معنى «مخترعة» ألا يكون لها أصل في الشرع يدل عليها.

---

(25) رواه البخاري في كتاب«صلاة التراويح» باب: فضل من قام رمضان،«واللفظ له»، ورواه أيضًامالك في «الموطأ» باب: بدء قيام ليالي رمضان.

(26) عن عائشة رضي الله عنه ا: «أن النبي ﷺ صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس، ثم صلى الثانية فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفترض عليكم، وذلك في رمضان». متفق عليه «نيل الأوطار» للشوكاني (61/3) ط. دار الفكر.

(27) قال الشاطبي ححح: فتأملوا ففي هذا الحديث- حديث عائشة المتقدم- ما يدل على كونها سنة، فإن قيامه أولًا بهم دليل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان، وامتناعه بعد ذلك عن الخروج خشيةالافتراض لا يدل على امتناعه مطلقًا، لأن زمانه كان زمان وحي وتشريع، فيمكن أن يوحي إليه إذا عمل به الناس بالإلزام، فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله ﷺ رجع الأمر إلى أصله، وقد ثبت الجواز فلا ناسخ له.«الاعتصام»(194/1).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

ومن هنا دون السلف العلوم الشرعية، وابتكروا علومًا لخدمتها مثل علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وعلوم اللغة ونحوها.

مضاهاة الطريقة الشرعية:

ثم قال الإمام الشاطبي في التعريف: «تضاهي الشرعية»، أي أنها تشابه الطريقة الشرعية، من غير أن تكون في الحقيقة كذلك.

هناك أشياء يخترعها الناس ليس لها في الشرع أصل، إنما لها في الشرع وجه شبه، لأن فيها نوعًا من التعبد، ففيها مضاهاة للطريقة الشرعية وتشبه بها بوجه من الوجوه، وهذا هو الذي يحسنها عند المبتدعين وعند أتباعهم، لأنه لو لم يكن لها شبه بطرق الشرع لرفضها الناس، إنما هم يحسنونها بأن فيها شبهًا بالطرائق الشرعية.

البدعة يقصد بها المبالغة في التعبد:

ثم قال في التعريف: «يقصد بالسلوك عليها المبالغة فيالتعبد لله سبحانه»، يعني الذين يبتدعون البدع يقصدون عادة المبالغة في التقرب إلى الله، لأنهم لا يكفيهم ما جاء به الشرع، ويريدون الزيادة عليه، كأنهم يستدركون على الشرع، كأنهم يكملون نقصه، فيبدعون شيئًا من عندهم.

هل هذه النية الحسنة تشفع لهم؟ لا ... لا تشفع لهم، لأننا قلنا: لابد من الأمرين: النية، والمتابعة ... الميزان الظاهر ... أن يكون على أمر رسول الله ﷺ **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

فهذه هي البدعة في الدين، والبدعة بهذا المعنى ضلالة كما جاء في حديث العرباض بن سارية: **«فإن كل بدعة ضلالة»**.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

تقسيم العلماء للبدعة والقول الأصوب في ذلك:

هناك بعض العلماء قسموا البدعة إلى: بدعة حسنة، وبدعة سيئة[28].

وبعضهم قسمها إلى خمسة أقسام، بأقسام أحكام الشريعة الخمسة: بدعة واجبة، وبدعة مستحبة، وبدعة مكروهة، وبدعة محرمة، وبدعة مباحة[29].

والقول الأصوب في هذا: إن الكلام واحد في النهاية ... النتيجة واحدة - لأنهم يجعلون–مثلًا كتابةالقرآنوجمعهفيمصحفواحد،وتدوينعلمالنحو،وتدوينعلمأصولالفقهوالعلوما لإسلاميةالأخرى،منالبدعالواجبة،ومنفروضالكفاية.

أما الآخرون فإنهم ينازعون في تسمية هذه «بدعًا»، يقولون: هذا التقسيم للبدعة بالمعنى اللغوي، ونحن نريد بالبدعة «المعنى الشرعي»، إما هذه الأشياء فنحن نخرجها من البدعة، وليس من الحسن أن يسمى مثل هذا البدعة، والأولى أن نقف عند الحديث الشريف؛لأن الحديث الشريف جاء بهذا اللفظ الواضح الصريح: **«فإن كل بدعة ضلالة»** بهذا العموم ... بهذه الكلية. فإذا كان الحديث يقول: **«فإن كل بدعة ضلالة»** فلا داعي إلى أن نقول: إن

---

(28) لشيخ الإسلام ابن تيمية كلمات مضيئة في الرد على من يستحسن البدع، أوردها في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم»(ص270) فما بعدها، ط. دار المعرفة- بيروت، فلتراجع هناك.

(29) وقد ناقشهم الإمام الشاطبي مناقشة مفصلة، أثبت من خلالها أن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع، لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة، ولكان العمل داخلًا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها. انظر:«الاعتصام»(1/188-211) ط. دار المعرفة- بيروت.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

من البدع ما هو حسن، ومنها ما هو سئ، أو منها ما هو واجب وما هو مستحب ... إلخ.

لا داعي لمثل هذا التقسيم، والصواب أن نقول ما قاله الحديث الشريف: «**فإن كل بدعة ضلالة**»، ونقصد بالبدعة المعني الذي حققه الإمام الشاطبي في هذا التعريف: «البدعة طريقة في الدين مخترعة» ولا أصل لها في الشرع، ولا أساس لها، لا من كتاب، ولا من سنة، ولا من إجماع، ولا من قياس، ولا من مصلحة مرسلة، ولا من دليل من هذه الأدلة التي قال بها فقهاء المسلمين.

لماذا شدد الإسلام في أمر البدعة؟

لماذا شدد الإسلام في أمر البدعة، واعتبرها ضلالة، واعتبرها في النار، وحذر النبي ﷺ منها أشد التحذير؟

**أولًا: المبتدع ينصب نفسه مشرعًا وندًا لله تعالى:**

الحقيقة أن الإسلام حذر منها لأن المبتدع- كما أشرت- كأنه مستدرك على ربه، كأنه يوهمنا أو يوهم نفسه، أنه يعلم ما لا يعلم الله، كأنه يقول: إن ما شرعته يارب لا يكفينا، فنحن نزيد على ما شرعت. فهو إذا قد جعل نفسه مشرعًا. وأعطى نفسه حل التشريع، والتشريع من حق الله عمع وحده، ولذلك قال القرآن: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ وَعَلَيْهِمْ} [الشورى:21].

فشرعية ما لم يأذن به الله: هذا هو الخطر، لأن الإنسان جعل نفسه ندًا الله عمع من حقه أن يشرع وأن يبتكر، ويزيد في دين الله، وهذا باب يمكن أن يأتي منه خطر كبير، يصل بالناس إلى الشرك بالله تتت، وهذا ما أفسد الأديان

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

من قبل.

الأديان الأخرى ماذا حل بها؟ حل بهذا الابتداع مفتحة أبوابه على مصاريعها، وجعلوا لأنفسهم حق الإضافة في دين الله، وجعلوا ذلك في حق باباواتهم وقسيسيهم، أو أحبارهم ورهبانهم، فأصبح الدين غير الدين، وهذا ما أنكره الإسلام عليهم وسجله في كتابه الخالد حين قال الله تعالى: { ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ }[التوبة: 31]، فاعتبرهم القرآن مشركين.

لما دخل عدي بن حاتم الطائي- وكان قد تنصر في الجاهلية- على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية: { ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ } قال: إنهم لم يعبدوهم، فقال النبي ﷺ: « **بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلكعبادتهم إياهم**»[30].

فعدي بن حاتم فهمأن العبادة هي الشعائر فقط: الصلاة والركوع والسجود ونحوها، فأفهمه النبي ﷺ أنه ليس من الضروري أن يفعلوا ذلك، فالعبادة لها معنى أوسع، الطاعة المطلقة فيما يصنعون، وفيما يحلون، وفيما يحرمون، وفيما يخترعون، في أمور الدين عبادة، لأن الربوبية هي التي لها حق التشريع والتحليل والتحريم، وهي التي تتعبد الناس بما تريد، وليس من حق أحد أن يتعبد بما يريد هو.

---

(30) قطعة من حديث رواه أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم.انظره في «تفسير ابن كثير» (348/2) ط. دار الدعوة- استانبول.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

فالمبتدع إذن كأنه ينصب نفسه مشرعًا وندًا لله تتت، ويستدرك على الله عز وجل.

**ثانيًا: المبتدع يرى الدين ناقصًا ويريد أن يكمله:**

من ناحية أخرى- وهو فرع عن المعنى السابق- إن المبتدع كأنه يرى الدين ناقصًا وهو يريد أن يكمل ما فيه من نقص وقصور.والدين قد أتم الله علينا النعمة بكماله فقال: { ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا } [المائدة:3]،ولذلك روى ابن الماجشون عن الإمام مالك- إمام دار الهجرة- أنه قال: من ابتدع الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول: { ... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... } فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا[31].

فالابتداع في الدين اتهام للنبي صلى الله عليه وسلمبالخيانة وعدم تبليغ الرسالة بكمالها، وقد قال الله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ... } [المائدة: 67].

الدين قد كمل، فليس في حاجة إلى أن تزيد عليه، لأن الكامل لا يقبل الزيادة بحال من الأحوال، الشيء الناقص هو الذي يمكن أن تضيف إليه وتزيد فيه. إذا كنت لابسًا ثوبًا سابغًا على مقدار مفصل عليك تمامًا، لو زيد فيه شيء، كان مقتضى ذلك أنك ستجره على الأرض.

ومن هنا وقف الصحابة والأئمة ومن تبعهم بإحسان ضد الابتداع لأنه اتهام للدين بالنقص، واتهام للرسول بالخيانة.

---

(31) ذكره الشاطبي في «الاعتصام»(49/1).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

**ثالثًا: الابتداع يعسر الدين ويخرجه عن طبيعته السمحة:**

من ناحية ثالثة: إن الدين قد شرعه الله ميسرًا، وبعث نبيه بحنيفية سمحة، حنيفية في العقيدة، سمحة في التكليف والأعمال {...يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... }[البقرة: 185]، { ... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...}[الحج: 78]،« **... فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»(32).

فالذين قد جاء ميسرًا للناس، والذين يبتدعون فيه، يخرجون بهذا الدين عن طبيعته السمحة الميسرة الميسرة، فهم يعنتون الناس ويشقون عليهم، ويضيفون إليه ما يجعله آصارًا وأغلالًا على المكلفين، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم ليضع الآصار والأغلال عمن كان قلنا، كما جاء في وصفه ﷺ في كتب الأولين ... التوراة والإنجيل: { ... وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ...}[الأعراف: 157]، وجاءفي أدعية القرآن في خواتيم سورة البقرة: { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ...}[البقرة: 286].

فهؤلاء الناس- أي المبتدعون- يريدون أن يعيدوا آصار الأديان السابقة إلىالإسلام، وأن يضيفوا إليه تكاليف تشق على الناس، وتكلفهم شططا، وترهقهم من أمرهم عسرًا.

التكاليف الدينية بسيطة سهلة جدًا، فمثلا: الله عزوجل:

---

(32) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ونصه كاملًا: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبيصلى الله عليه وسلم: «**دعوه وأريقوا على بوله سجلًا من ماء، أو□نوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**».«رياض الصالحين» للنووي، باب: الحلم والإناة والرفق.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا } [الأحزاب: 56]، وأفضل صيغ الصلوات: «**اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[33].

أخذت قدر إيه؟ ربع دقيقة أو نصف دقيقة؟ إنما يجئ أناس ويضعون كتبًا في الصلاة والسلام على النبي، وصيغًا متكلفة ما أنزل الله بها من سلطان، كنت أرى العامة يقرأونها ولا يفهمون منها شيئًا.

وفي الأدعية– أيضًا -يضعون للناس أورادًا وأحزابًا، كنت في صغري أذهب إلى المسجد قبل الفجر، فأجد بعض الناس من العوام يحفظون وردًا يقال له «ورد البكري»، وهو عبارة عن أدعية مرتبة على حروف الهجاء، يبدأ الدعاء الأول بحرف الهمزة، والثاني بالباء، والثالث بالتاء ... إلخ. فمثلًا في حرف الغين «إلهي غناك مطلق وغنانا مقيد ...» ولو سألت أحدهم ما معنى مطلق ومقيد؟ فإنه لا يعرف شيئًا.

يا أخي هل هنالك أفضل وأجمل وأيسر من أدعية القرآن وأدعية السنة؟

أدعية القرآن مثل: { ... رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ } [البقرة: 201] ...

وأدعية السنة مثل: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح دنياي التي فيها معاشي، وأصلح آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة**

---

(33) متفق عليه من حديث كعب بن حجرة «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط (190/3)، (حديث 681).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

**زيادة في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»**[34]، فلم التكلف إذن؟ ولماذا نعسر على الناس ونحفظهم هذه الأدعية؟

في مرة من المرات قلت لواحد: لماذا لا تصلي؟ قال: لأني لا أعرف الوضوء! قلت: لا تعرف غسل الوجه واليدين، ومسح الرأس، وغسل الرجلين؟ قال هذا أعرفه، لكني لا أحفظ ما يقال في الوضوء، عند غسل كل عضو من الأعضاء! أي أنه لا يعرف ما يقوله عند بدء الوضوء، كأن يقول: الحمد لله الذي جعل الماء طهورًا، والإسلام نورًا، وعند الاستنشاق: اللهم أرحمني برائحة الجنة وأنت عني راض، وعند غسل الوجه: اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وعند غسل الذراعين: اللهم أعطني كتابي بيميني، واجعل محمدًا شفيعي وضميني، وعند مسح الرأس: اللهم حرم شعري وبشرتي على النار[35].

كل حاجة وضعوا لها دعاء، والرجل المسكين يظن أنه لابد- لكي تصح صلاته ويصح وضوؤه- من حفظ هذه الدعوات الكثيرة، وليس عنده حافظة تسع هذه الأشياء. لماذا هذا كله.

وانظر إلى «الأذان الشرعي» كما يسمونه، تجده أمرًا سهلًا يسيرًا: الله أكبر الله أكبر ... إلخ، كم يأخذ من الوقت؟ دقيقة؟ أو دقيقة ونصف، لكن لو أخذناه بالطريقة التي عليها غالب الناس اليوم: حي على الصلا ... ... ة، حي على الفلا ... ... ح. كم يأخذ؟ أكثر من خمس دقائق.

ولازم «الفلاح» تكون أطول من «الصلاة»، والثانية أطول من الأولى. ثم

---

(34) رواه مسلم عن أبي هريرة في الذكر والدعاء (2720).

(35) انظر:فتوى شيخ القرضاوي بشأن المأثور وغير المأثور في أدعية الوضوء، في كتابه «فتاوى معاصرة» الجزء الأول، (ص213-214).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

لم يكتفوا بهذا، بل وضعوا للناس صلوات على النبيصلى الله عليه وسلم تتلى بعد الأذان.

يا أخي ربنا شرع هذه الألفاظ وأوحى بها إلى نبيه عن طريق الرؤيا(36) التي أقرها النبي ﷺ، فهذا شيء مقصود أن يكون لله تعالى نصيب كذا في الأذان، ولمحمد مقدار معين، فكيف تأتيأنت وتضيف صلوات وكلمات زائدة بحيث يجعل حظ النبي الكريم في الأذان أكثر من حظ ربنا تتت؟ ليس هذا مكانه يا أخي، لِمَ تخترع من عندك؟

فيا أيها الأخوة:

الإسلام وقف ضد الابتداع، لئلا يدخل الناس في الدين أشياء تعسر الدين، وتضيف إليه أشياء تجعله أضعاف ما أنزله الله ععع، وتكون النتيجة: أن الناس يستثقلون تكاليف الدين يضيفون بها ذرعًا.

**رابعًا الابتداع في الدين يميت السنن:**

ومن هنا جاء من السلف، وجاء موقوفًا ومرفوعًا أنه: «ما أحيا قوم بدعة إلا أماتوا مثلها من السنة».

وهذا أمر طبيعي، وهو قانون ... قانون كوني ... قانون اجتماعي، سميه ما تسميه، كما قال القائل: ما رأيت إسرافًا إلا وبجانبه حق مضيع. إذ رأيت إسرافًا في جانب لابد أن تجد تقتيرًا في جانب آخر، فالإنسان إذا وضع طاقته في البدعة، فلا بد أن تنحسر هذه الطاقة عند السنة، لأن الإنسان محدود الجهد.

---

(36) رؤيا عبد الله بن زيد في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود، وصححه الترمذي وابن خزيمة. انظر:«سبل السلام» للصنعانى، باب الأذان.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

ولذلك تجد المبتدعة ما أسرعهم وما أنشطهم. ينشطون ويسارعون في البدع، وفي أمور السنة يضعفون ويفترون.

أذكر وأنا طالب في القسم الثانوي من الأزهر بمعهد طنطا- وطنطا هذه فيها مقام «السيد البدوي» المعروف. وهناك من مشايخنا من يبقى معظم النهار وبعض الليل بجوار «مقام السيدالبدوي» ولقد ناقشت بعض مشايخي ححح، وكان فقيهًا حنيفًا، ولكنه كان من الجماعة الذين يقدسون التصوف والأولياء، وكان يدرس لنا باب الأضحية في الفقه، وأنا كنت أحب أن أربط الفقه بالحياة، فقلت له: يا سيدنا الشيخ: الناس أضاعوا هذه السنة، وأصبح الذين يضحون قليلين جدًا، وأعتقد أن المشايخ عليهم تبعة في هذه الناحية، وبإمكانهم أن ينبهوا الناس إلى هذه السنة. [قال الشيخ: إن الناس قد ضعفت إمكانياتهم المادية. قلت: ولكنهم في مناسبات أخرى يذبحون وهي ليست سنة. قال: ماذا تعني؟ قلت: أعني أنهم يذبحون في مولد السيد! حينما يأتي مولد السيد تذبح عشرات بل مئات آلاف الخراف، وفي عيد الأضحى قلما يوجد أحد يضحى!! فلو أن المشايخ وجهوهم إلى هذه السنة، بدلًا من أن يذبحوا للسيد، أن يذبحوا في عيد الأضحى فيحيوا سنة، وحتى لو لم يتصدقوا بشيء منها، فإن مجرد إراقة الدم هو إحياء لشعيرة من شعائر الإسلام { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ }]. ما قلت هذا حتى وجدت الشيخحححهاج علي، وأخرجني من الفصل، واعتبرني مشاغبًا، وكارهًا للأولياء والصالحين!!

فهذا يذكرني أنه: ما أحيا قوم بدعة، وما شغلوا أنفسهم بها، إلا أماتوا مثلها من السنة، فهذا هو السر في الإنكار على البدع.

**خامسًا: الابتداع في الدين يصرف الناس عن الابتكار في شئون الدنيا:**

من ناحية أخرى: ما أشرت إليه في أوائل هذا الحديث، وهو أن الناس إذا

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

بذلوا جهودهم وأنشطتهم في هذه الإضافات والزيادات، التي أضافوها إلى الدين، فلن تبقى لهم طاقة للعمل للدنيا، والابتكار في شئونها.

البدعة كما قلنا: «طريقة في الدين مخترعة»، والاختراع يجب أن يكون في أمور الدنيا، ولكن ما دام الإنسان قد جعل كل اختراعاته في الدين، فلن يخترع في الدنيا.

ولذلك المسلمون الأوائل ابتكروا في أمور الدنيا، وعملوا أشياء لم يسبقهم إليه أحد، وقامت في ظل دينهم حضارة شامخة الذرا، جمعت بين العلم واليقين، بين الدين والدنيا، وكانت العلوم الإسلامية: الكونية والرياضية والطبية والفلكية والطبيعية، هي العلوم التي تدرس في العالم، ويتتلمذ فيها على المسلمين.

والمسلمون كان دافعهم في معظم هذه الأشياء دينيًا، هل تعرفون أن علم الجبر المنسوب إلى الخوارزمي اخترعه لماذا؟ ليحل مسائل معينة في الوصية والميراث. الميراث جزء منه رياضي، والوصية كذلك. ولهذا كتابه في الجبر جزءان: جزء في الوصايا والمواريث، وجزء في الجبر والمقابلة. ولما جاء الدكتور موسى أحمد والجماعة الذين حققوا الكتاب، علقوا على الجزء المتصل بالجبر، أما الجزء الفقهي المتصل بالوصايا والمواريث فقالوا: لم نفهمه ولم نستطيع أن نعرف منه شيئًا.

كان العلم في الزمن الأول متصلًا بالدين، ولم يكن هناك انفصال بينهما[37]. كان معظم العلماء والأطباء علماء دين، ابن رشد مؤلف كتاب

(37) بل هذا «الانفصال» هو نفسه بدعة دخيلة لم يكن لها وجود في الإسلام، لأنه ليس من طبيعته أن ينفصل عن الدنيا. انظر فصل: «الفصام النكد» من كتاب «المستقبل لهذا الدين» للشهيد سيد قطب.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

«الكليات» في الطب كان قاضيًا صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في الفقه، وهو أعظم ما كتب في الفقه المقارن بتركيز وتلخيص ورد المسائل إلى أصولها.

الذي أريد أن أقوله أن المسلمين في العصور الأولى وقفوا عند النص وعند السنن في أمور الدين، وابتكروا واخترعوا، وانشأوا وطوروا وحسنوا في أمور الحياة. ولما بعدنا نحن عن الدين-في عصور التخلف- حدث العكس، اخترع المسلمون أشياء كثيرة جدًا في أمور الدين، وجمدوا في أمور الدنيا، وقالوا: ما ترك الأول للآخر شيئًا! وليس في الإمكان أبدع مما كان! وضربت الحياة بالجمود والعقم، وأصبحت كالماء الراكد الآسن.

فلذلك كان إنكار الابتداع في الدين معناه توفير طاقات الناس للابتكار وللتطوير في أمور الحياة.

**سادسًا: الابتداع في الدين يفرق الأمة ويمزق وحدتها:**

أمر سادس هنا: وهو أن الوقوف عند السنن يجمع الأمة على كلمة واحدة، ويجعلها صفًا متراصًا وراء هذا الحق الذي بينه النبي ﷺ، لأن السنة واحدة، ولكن البدع لا تنتهي، الحق واحد ولكنالباطل ألوان، صراط الله واحد، ولكن سبل الشيطان كثيرة جدًا، ولذلك جاء في حديث ابن مسعود[38] رضي الله عنه أنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًا «كان يعلمهم بوسائل الإيضاح، ووسائل الإيضاح بالنسبة لهم الرمل» ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سبل، على كل سبيل منها**

(38) إسناده حسن، وأخرجه الإمام أحمد في «المسند»، والطبري، والحاكم وصححه وأقره الذهبي«شرح السنة» للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط (1/196-197)، (حديث97).

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

**شيطان يدعو إليه»** وقرأ: { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ }[الإنعام: 153].

ولذلك لما كانت الأمة وراء السنة كانت كلمتها واحدة، ولما ظهرت الفرق انقسمت الأمة إلى أكثر من سبعين فرقة، بل كل فرقة انقسمت إلى فرق، وكل فرقة تعتقد أن ما عليه هي هو وحده الدين، وابتدعت من عند نفسها أشياء ... بدعًا بعضها في العقائد، وصلت أحيانًا إلى الكفر، مثل الذين أنكرواعلم الله وقالوا: إن الأمر أُنُف، يعني أن الله لم يعلم هذا من قبل، وهم الذين برئ منهم ابن عمر وقال: لو جاء أحدهم بمثل جبل أحد من العمل لم يقبله الله تتت، ومنهم الذين قالوا في ذات الله وشبهوا الله بخلقه وهم «المشبهة» و «المجسمة» ومنهم الذين أنكروا قدر الله عز وجل وإن لم ينكروا علمه. ومنهم الذين كفروا المسلمين واستحلوا دماءهم مثل: «الخوارج» رغم تعبدهم، ورغمما جاء في الحديث: «**يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم**».

وظهر بعد ذلك المتصوفة، وجاءوا بأقوال ما أنزل الله بها من سلطان مثل: الاحتكام إلى الذوق وإلى الوجدان الشخصي، لا إلى الشرع، فليس من الضروري أن يرجع الإنسان إلى حكم ربه، بل إلى حكم قلبه! يقول أحدكم معتزًا: «حدثني قلبي عن ربي!» لأنه يأخذ من فوق مباشرة!! ولذلك لما قيل لأحدهم: تعال نقرأ «مصنف عبد الرزاق»، قال: ماذا يفعل بعبد الرزاق من يأخذ عن الخلاق؟! يعني أنه يأخذ مباشرة من غير وسائط!

وقال بعضهم: تأخذون علمكم ميتًا عن ميت، ونحن نأخذ عن الحي الذي لا يموت! مالك عن نافع عن ابن عمر!! مات هؤلاء، هذه السلسلة الذهبية- كما يسمونها-سلسلة صدئة عندهم، لا تنفع ولا تشفي.

ومن الأشياء التي جاءوا بها: الحقيقة والشريعة، فأهل الشريعة ينظرون

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

إلى الظواهر، أما أهل الحقيقة فهم يعرفون الأسرار والبواطن، ولذلك قالوا: «من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم». فالزاني والسكير وشارب الخمر والظالم والطاغية، والذي يعذب الناس ويقتلهم بالمئات والآلاف، ويهدم مدنًا على أهلها، هؤلاء إذا نظرت إليهم بعين الشريعة تمقتهم، لأن الشريعة تمقت المنكر والظلم وأهله، ولكن إذا نظرت إليهم بعين الحقيقة تعذرهم، لأنهم وإن كانوا لا ينفذون أمر الله، فهم ينفذون إرادة الله، لأن الله هو الذي أراد هذا ... أقام العباد فيما أراد، تريد أن تنظم ملكه؟! دع الملك للمالك، وأترك الخلق للخالق، وانتهت العملية بسلبية أمام الفساد وأمام الطغيان، وسلبية في التربية ... سلب شخصية الإنسان: المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ... من قاله لشيخه: لم؟ لا يفلح ... من اعترض افترض ومن باح راح، وهكذا.

ثم كم طريقة وطريقة؟!

الأمة إذا لو تركناها للبدع لا يمكن أن نجتمع أو يلتئم لها صف، إنما تجتمع لو وقفت خلف رسول الله ﷺ، واتبعت المحكم من كتاب الله وسنة رسوله. ولا مانع- بعد ذلك- أن تختلف في الفروع، فهذا الاختلاف لا يفسد الأخوة الإسلامية، ولا يمنع الوحدة الإسلامية، الصحابة اختلفوا في الفروع[39] ولكنهم ظلوا إخوة. وظلوا مسلمين.

إنكار البدع ومحاربتها هو الذي حفظ الإسلام:

من أجل هذا كله- أيها الأخوة- كان الإنكار على البدع وعلى الابتداع،

(39) بل قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز: ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن لنا رخصة.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

وكان هذا الإنكار هو الذي حفظلنا جوهر الإسلام إلى اليوم، فلم يمسخ كما مسخت أديان الأخرى.

صحيح أن المسلمين ظهرت فيهم بدع كثيرة، وظهر فيهم مبتدعون، وظهر شياطين وأتباع شياطين، ورءوس جهال ليس لهم علم، يفتون الناس بغير علم فيضلون ويضلون، ولكن ظل هناك في كل عصر من يحدد لهذه الأمة أمر دينها[40]، ظل هناك رجال يحيون السنن ويميتون البدع[41]، ظل أمر السنة معروفًا على الأقل، ولم يحدث أن اجتمعت هذه الأمة على ضلالة[42]أو أقرت البدع، أو أصبحت جزءًا من دينها.

إنكار البدع هو الذي حفظ لنا الأركان الأساسية، الصلاة ظلت خمسًا إلى اليوم بمواقيتها وكيفياتها، الصيام لم ينقل عن شهر رمضان كما فعل أهل الكتاب، وظل من الفجر إلى غروب الشمس، الحج ظل هو الحج، الزكاة

---

(40) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يحدد لها دينها**». رواه أبو داود والحاكم والبيهقي وغيرهم، وصححه العراقي والسيوطي. والمراد بتجديد الذين في الحديث: تحديد الفهم له، والإيمان والعمل به، وللأستاذ القرضاوي شرح مفصل لهذا الحديث في كتابه «من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا»(ص9-36)، ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

(41) روى ابن جرير وتمام في فوائده وابن عدي وغيرهم عن النبي ﷺ، قال: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**». وانظر شرحه في «المدخل لدراسة السنة النبوية» للأستاذ القرضاوي (ص95-98).

(42) روى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يجمع أمتي**- أو قال: أمه محمد رسول الله ﷺ- **على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار**». رواه الترمذي واستغربه، ورواه الحاكم بنحوه.«الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» للقرضاوي (ص25)، ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

ظلت هي الزكاة، الأصول الإسلامية ظلت كما هي رغم ما حدث من بدع ومن أهواء على توالي العصور.

الذي حفظ هذا، هو هذا المبدأ: أن البدع مرفوضة في نظر الإسلام. فأعتقد أن الإسلام بهذا كان دينًا عظيمًا ومنطقيًا، وافق كل ما يقوله المنطق الصحيح، فإذا رأينا في الناس من يأتي بعد أربعة عشر قرنًا من الزمان مضت على هذا الدين، ليكتب مقالة ويقول: «استنكار البدعة وكراهة الجديد، موقف إسلامي أم جاهلي؟» فماذا نقول بعد هذا؟!

وانظروا إلى عملية الدس في هذا العنوان: أنه يضيف إلى استنكار البدعة «كراهة الجديد»، سبحان الله ... من قال: إن استنكار البدعة يعني كراهة كل جديد؟! المسلمون- سواء كانوا سنيين أو مبتدعين- يستعملون الأشياء الجديدة، بل أشد الناس اتباعًا للسنة يركب العربات، ويستخدم «التلفون»، ويستعمل «الميكروفون»، ويركب الطائرات، لا أحد يقول: ركوب الطائرة بدعة، ونحن ينبغي أن نركب الجمل كما كان يفعل النبي ﷺ.

فما معنى إذًا: «استنكار البدعة وكراهة الجديد، موقف إسلامي أم جاهلي؟» إنما هي عملية دس، وضحك على الناس.والشخص الذي كتب هذا يقول: إن الإسلام نفسه كان بدعة بالنسبة للجاهلية، أي أمرًا جديدًا، ولو مشينا على هذا المنطق-أي استنكار البدعة - لاستنكرنا الإسلام كما استنكر الجاهليون الإسلام، لأنه كان شيئًا جديدًا.

سبحان الله ... الجاهلية نفسها هي ابتداع، الذي صنع الجاهلية إنما هو الابتداع في الدين، لأنهم حرفوا ملة إبراهيم بما ابتدعوا فيها. ملة إبراهيم كانت حنيفية {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: 67]، ولكن أدخلوا في هذه الملة الحنيفية أشياء بالابتداع، وطبعًا

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

قصدوا بهذا: المبالغة في التعبد. حينما اعبدوا الأصنام، لماذا عبدوها؟ قالوا: { ... مَانَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ }[الزمر: 3]. والجماعة «الحمس» الذين أضافوا إلى الحج أشياء، لماذا أضافوا؟ قالوا: إننا لا يجوز أن نطوف بثيابنا لأننا عصيناالله بها، فطافوا بالبيت عراة.

فمفاسد الجاهلية وقذاراتها إنما صنعها في حقيقة الأمر «الابتداع» في الدين الذي أنزل الله تتت به كتبه، وبعث به رسله، مبشرين ومنذرين. الإسلام إنما هو عودة إلى الأصل، إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي الملة التي دعا إليها إبراهيم سسس{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا }[النساء: 125].

الحقيقة إن ما كتبه هذا الكاتب كله مغالطات، ولكني أحببت أن أرجع الأمور إلى جذورها، حتى نتبين الموقف الصحيح من السنة، ومن البدعة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعض تحريفات كاتب المقال:

وإليكم شيئًا مما كتبه الكاتب الذي أشرنا إليه في المقالة المنشورة في مجلة «الدوحة».

يقول وهو يرد الأحاديث النبوية حتى ما رواه البخاري ومسلم منها، فينكر حديث:«**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة ...** »كما ينكر الحديث النبوي «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، أو لتبعتموه ...** ».

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

ويدعى أن ذلك مخالف للقرآن ...

كيف يقول ذلك؟ كيف يقول مثل هذا الحديث مخالفًا للقرآن؟

إن ابن تيمية ألف كتابًا في هذا الأمر سماه «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم» الصراط المستقيم الذي يسأل الله عز وجل يوميًا سبع عشرة مرة أن يهدينا إياه ... بقراءة الفاتحة { ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ} هذا يقتضي مخالفة أهل الجحيم المذكورين في قوله تعالى: { صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ }فأهل الجحيم هم المغضوب عليهم والضالون. فنحن لنا صراط، وهم لهم طرق أخرى.

وقد جاء في الحديث: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى.

فصراطنا غير طرقهم، فالقرآن جعل لنا طريقًا غير طرق هؤلاء ونهانا في آيات كثيرة أن نكون مثلهم، أو أن نفعل فعلهم كما قال: { وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ...}[آل عمران: 105].

وغير ذلك من الآيات القرآنية ... والأحاديث النبوية الكثيرة التي يفيد مجموعها بيقين. بأن هذه الأمة متميزة، في شخصيتها لا يجوز أن تكون ذنبًا للأمم. ومن هنا جاء في الأحاديث لفظة: «خالفوهم» وتكررت في أكثر من موضع.

استقلال شخصية الأمة الإسلامية جاء من هنا ... وتميزها عن سواها ... سواء في المظهر والمخبر ... فلا نتبع سنتهم ولا نتخلق بأخلاقهم أو نتعود بعبادتهم وتقاليدهم ... فتكون لنا هي النهج الأمثل ...

ينبغي أن تكون لنا شخصيتنا، لأن الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط شهداء

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

على الناس ... لنا مكانة الأستاذية بالنسبة للأمم. نحن خير أمة أخرجت للناس. فكيف نتبع غيرنا. فالرسول ﷺ يريد أن يغرس فينا هذه المعاني من الاعتزاز بالشخصية والتميز والاستقلال، ولا يريد منا أن نكون ذيولًا وأتباعًا لغيرنا.

ولذلك جاء هذا الحديث، وإن كان خيرًا إلا أنه يحمل معنى التحذير:«**لتتبعن سنن من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع ... حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه**»: أي لو دخلوا جحر ضب، كان جحر الضب «موضة» اسمها «موضة جحر الضب» فإذا أطالوا سوالفهم أطال شبابنا سوالفهم، وإذا صاروا خنافس، صار شبابنامثلهم ... فأين شخصيتنا المتميزة المستقلة أمام هذا التقليد الأعمى؟

هل ينسلخ المرء من دينه وشخصيته الإسلامية ليتبع غيره على ضلاله؟

وكيف يقال بأن هذا الحديث مخالف للقرآن.

وحين سئل النبي ﷺ: من يا رسول الله؟ اليهود وأنصاري؟ قال: «**فمن؟**».

أليس من المؤسف أن يصبح أستاذتنا هم النصارى واليهود؟! إننا ننفذ ما كتب في «بروتوكولات حكماء صهيون» سواء صحت نسبتها أم لم تصح إليهم. وما أراده هؤلاء غدونا ننفذه من حيث نشعر أو لا نشعر ... أصبحنا طوع أيديهم ...

إن الكاتب ينكر على المسلمين أن يرجعوا إلى طريقة النبي ﷺ والصحابة وأسلوب حياتهم ... وعجبا لذلك؟! هل اتباع النبي ﷺ وأصحابه في أسلوب حياتهم يستدعي الإنكار؟؟ إننا نأخذ بمنهج حياته عليه الصلاة والسلام وحياة أصحابه من بعده في حسن تطبيق الدين وفهمه، والعمل بمقتضاه ...

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

والحرص على أصوله، والاهتمام بجوهره، والعناية بأمور الحياة والتطوير فيها ... هذا هو المقصود بالاتباع.

ثم يقول الكاتب: «غير إنني أنظر فأرى من بين الأحاديث الشريفة ما يذهب إلى أن العلماء هم ورثة الأنبياء. وأفهم من هذا الحديث على أن وارث التركة واجبًا خلقيًا، يحتم عليه رعاية التركة وإنماءها، فعلى ورثة الأنبياء أن يرعوا التراث الروحي الذي خلفوه وأن ينموه. وكما أن من حق وارث حانوتي أريب، بل من وأجبه أن يسعى إلى أن يوسعه ويضيف إليه فيزيد من أنواع السلع المعروضة فيه. ويستبدل سلعًا رائجة بسلع قد كسدت، وفتر الطلب عليها، مراعاة منه لأحوال السوق، كذلك على العلماء، ما يشبه ذلك بما يتصل فيما ورثوه».

أي على العلماء، أن يزيدوا في الدين ويوسعوا ويضيفوا ويبتدعوا ... فبالله عليكم ... هل هذا منطق؟؟ وهل هذا كلام مقبول أو معقول؟؟ أن تقاس تعاليم الدين على بضائع الدكاكين!!

ثم يقول: «بيد أن معظم علماء المسلمين لا يرون توسعًا أو إضافة، ولا يأخذون إلا بالتقليد الأعمى والجحود الباطل، مستندين في تبريرهم قفل باب الاجتهاد إلى عظمة شأن الإسلام في عصيره الأول»سبحان الله! إن إقفال باب الاجتهاد هو نفسه بدعة؛ لأنه ابتداع لم يقله النبي ﷺ ولا فعله الصحابة، وإنما هو ابتداع من العصور المتأخرة. إنه لا يملك أحد أن يغلق باب الاجتهاد الذي فتحه الله ورسوله ﷺ.

أمور الدنيا، يمكن أن تزيد فيها وتوسع، أما أمور الدين فلا يجوز الزيادة فيها أو النقص منها؛ لأن ذلك - كما قلنا - استدراك على الله، واتهام الدين بالنقص ... إلخ.

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm

فما معنى أن توسع في الدين إذن؟! إن الكامل لا يقبل الزيادة.

وقوله تعالى: { ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا } [المائدة: 3].

* * *

This document is created by GIRDAC PDF Converter Pro trial version
GIRDAC PDF Creator Pro full version does not add this green footer
Full version can be ordered from http://www.girdac.com/Products/Buy.htm